من غير ان يخضعوها الى روح الايمان لان جرية البحث واليقين من جوهر تعليمهم فآل امرهم انهم مدّنوا ولم يتضروا. والمدنية ان لم تكن مبنية على اساس الدين الحقيقي اضحت سطحية باطلة. امّا المرسلون الكاثوليك فنشروا تعليمهم وتضروا لكن ما اقلّ عددهم واضيق نطاق عملهم بالنسبة الى سعة البلاد وعظمتها!

***

كان الوقود يابساً معدًّا للحريق اذ سقطت عليه شرارة فالتهب ونفخت فيه الريح فانتشر. وهوذا روح الصين الفتاة تنفخ في الجنود العصاة نفثاتها المسمومة فتدفعهم الى ايقاد اللهيب ونشر الدمار حتى يعمّ البلاد؟ أوَهل يمتدّ أواره ما وراء الحدود فتنال شرارته الشرق والغرب؟ لا يعلم الغيب الّا الله. انما علينا ان نطلب منهُ عزّ وجل ان يبسط يده القديرة ويسكّن الرياح والعواصف فيحدث هدوء عظيم ويعود السلام لبني البشر والامن لبيعته المقدّسة

سرّ القربان في الآثار العربيّة

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

في اواسط شهر حزيران الحاضر تقيم الكنيسة الكاثوليكيّة اعياداً جليلة في جميع انحاء العالم ذكرًا لسرّ تذهل لسموّه العقول البشريّة وتنحني امامهُ رؤوس العالمين. ألا وهو سرّ القربان الاقدس الذي تعطّف السيد المسيح بوضعهِ في عشائهِ السرّي فتركهُ لتلاميذهِ كتذكار محبّتهِ الالهيّة اذ اخذ الخبز وشكر وبارك واعطاهُ رسلهُ قائلًا: «خذوا وكلوا هذا هو جسدي» ومثلهُ صنع بكأس الخمر بعد بركتها فقال: «اشربوا منهُ فهذا هو دمي اصنعوا ذلك لذكري»

فبهذه الالفاظ البسيطة التي لا تقبل تأويلًا وبمماحكةً تمّم السيد المسيح ما وعد بهِ اليهود بقولهِ (يوحنّا ٦: ٥١ — ٦٠) «انا الخبز الحي الذي نزل من السماء. ان اكل احد من هذا الخبز يحيا الى الابد والخبز الذي سأعطيه انا هو جسدي لحياة العالم.. ان لم

تأكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمهُ فلا حياة لكم في انفسكم . من يأكل جسدي ويشرب دمي فلهُ الحياة الابدية وانا سأقيمهُ في اليوم الاخير . من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وانا فيه . . . من يأكل هذا الخبز فانهُ يعيش الى الابد »

وقد ادرك التلاميذ معنى قول الربّ وأشاعوهُ في كل انحاء المعمور . واثبتهُ بولس الرسول الاناء المصطفى في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنتس (١١ : ٢٣ — ٣٠) وفيها وصف « ما تسلّمهُ من الربّ » عن صنيعهِ « في الليلة التي أُسلم فيها » حيث شكر وكسر وقال : « كلوا هذا هو جسدي الذي يُكسر لاجلكم . اصنعوا هذا لذكري وكذلك الكأس من بعد العشاء قائلًا : هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي اصنعوا هذا كلّما شربتم لذكري فانكم كلّما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب الى أن يأتي »

فها قد مرَّ على هذه الاقوال السرّية تسعة عشر قرناً والكنيسة الكاثوليكية بتعليمها المتواصل وبجامعها وبتآليف آبائها الشرقيين والغربيين وبطقوسها ورتبها الدينية وبآثارها وعاداتها لا تزال تعتقد أتمّ الاعتقاد انَّ السيد المسيح بجسدهِ ودمهِ ونفسهِ ولاهوتهِ موجود تحت اعراض الخبز والخمر بقوة الكلام الجوهري الذي يتلوهُ الكاهن قياماً بامر الربّ القائل : « اصنعوا هذا لذكري »

وهذه الحقيقة انكرها بعض الخوارج في القرن الثاني عشر فأفحمتهم الكنيسة وارتدُّوا الى الايمان . ثمَّ قام البروتستانت في القرن السادس عشر فأنكروها إنكارهم لكثير من معتقدات الكنيسة وزعموا انَّ قول المسيح « هذا هو جسدي . . هذا هو دمي » انما اراد بهِ رمزاً من الرموز وانهُ مجازٌ ولم يعبأوا بقول بولس الرسول (١ كور ١١ : ٢٩) : « إنَّ من يأكل من هذا الخبز ويشرب من هذه الكأس بدون استحقاق انما يأكل ويشرب دينونة نفسهِ اذ لم يميّز جسد الربّ » وهذا أفحمُ تفنيد لزاعم البروتستانت فضلًا عن انَّ شيعاً منهم لاسيما شيعة الطقسيين الانكليكان تقرّ بمعتقد الكنيسة الكاثوليكية فيختلفون بينهم في هذا كما يتناقضون في معظم اضاليلهم شأن من ينبذ الحق ليتشبث بالآراء البشرية

امّا الكنيسة الكاثوليكية فانَّ إكرامها لسرّ القربان لم يزل في غوّ وازدياد في كلّ اطوار تاريخها وقد بلغ اليوم اقصى مجالي الابهة والعظمة لاسيما في مؤتمراتها

القربانيَّة السنويَّة التي تلفت اليها انظار العالم كلهِ حتى ألدّ اعدائها. وقد رأينا في العام السابق ما بلغهُ المؤتمر القرباني في شيكاغو من عظم الشأن والرونق حتى اعترفت لمظاهرهِ طرباً كلّ اقطار المعمور

أوَرَدَ شيء عن سرّ القربان في الآثار العربيَّة؟

وهنا يتساءل الاثريون أعرف العرب قبل الاسلام شيئاً عن سرّ القربان الاقدس؟ فنجيب انهُ لمن الامور المرجحة قبل كلّ دليل وضعي ان يقال انّ قدماء العرب في عهد الجاهلية لم تَفُتْهم معرفة القربان وقد اثبتنا في كتاب النصرانيَّة وآدابها في عهد الجاهليَّة كم شاع الدين المسيحي في كلّ اقطار العرب حتى النجد والحجاز فعرفوا القربان بلا مراء

﴿ الدليل الاوّل : دليل لغوي ﴾ انّ اللغويين بنوا منهُ فعلًا وهو «التقرُّب» بمعنى تناوُل القربان . ففي الاغاني لابي الفرج الاصفهاني (٢ : ٣٣) ورد في خبر هند بنت النعمان دخولها بيعة قومها النصارى في يوم خميس العهد لتتقرَّب قال : «فخرجت (اي هند) في خميس الفصح وهو بعد الثمانين بثلثة أيام لتتقرَّب في البيعة» ومن المعلوم انّ اقتبال سرّ القربان يكون رسميًّا للنصارى في ذلك اليوم . فوردت الكلمة عربيَّةً محضة وان لم يدرجوها في معاجمهم . ومثلها القربان . ومن ثمَّ نثني على الطيّب الذكر المطران جرمانوس فرحات الذي اثبت الكلمة في معجمهِ المدعوّ «احكام باب الإعراب من لغة الاعراب» فقال (ص ١٣٦) : «القربان ما يُتقرَّب بهِ الى الله تعالى وهو عند اليهود في العهد القديم كالذبائح وغيرها وعند المسيحيين في العهد الجديد جسدُ المسيح ودمُهُ . وتقرَّبَ تناوَلَ جسد المسيح»

ولنا في لغة العرب القديمة لفظة أخرى دالَّة على القربان الاقدس اشرنا اليها غير مرَّة واثبتنا معناها عن كتب اللغة نزيد بها كلمة «الشَبَر» فهذه الكلمة وردت في شعر عدي بن زيد الشاعر النصراني زوج هند بنت النعمان المذكورة وفي جملة اخبارهِ التي اتَّسع فيها صاحب الاغاني (٢ : ١٧ ــ ٤٠) . والبيت الشاهد قولهُ يردّ فيهِ على تهمة النعمان

اذ اتاني نَبَأٌ من مُنْعِمٍ لم أخُنْهُ والذي أعطى الشَبَرْ

فقال اهل اللغة ومن جملتهم الصاغاني عن الخليل «انّ الشَّبَر شيء يتعاطاهُ النصارى بعضهم لبعض كالقربان يتقرّبون بهِ او القربان عينــهُ» (راجع التاج في مادّة شبر). وذكروا بيت الشاعر العجّاج الذي قالهُ في مفتتح احدى اراجيزهِ

الحمدُ لله الذي أعطى الشَّبَرْ

وعليهِ استندنا لنثبت نصرانيّة العجّاج قبل اسلامهِ (اطلب المشرق ٢٣[١٩٢٥]: ٤٣٩و٥٥٨)

ولمّا كانت اللغــة اصدق صورة لأفكار المتكلّمين بها فلا بُــدَّ من القول ان العرب لم تَفتهم معرفة سرّ القربان كما يفهمهُ النصارى

﴿الدليل الثاني: دليــل تاريخي﴾: ان من يراجع تاريخ جزيرة العرب والاقطار المجاورة لها التي سكنتها قبائلهم وجد ذكر كنائس واديرة وصوامع كانت مشيَّدة لخدمة الدين النصراني. منها كنيسة صنعاء العجيبة التي افــاض في وصفها القــدماء وعدّدوا محاسنها البنائيّة وزينتها ولا يزال منها بقايا الى يومنا. ومثلها كنيسة نجران التي شيَّدها بنو عبد المدان النصارى. وكنائس طورسينا الراقية الى القرن السابق للهجرة. وكنائس حوران ذات الآثار الجبّاريّة التي صبرت اخربتها على نكبات الزمان. ومثلها بلاد الغور وبلقاء والاردن. وذكر مؤرّخو السريان عددًا عديدًا من الاديرة والكنائس في جهات العراق في الحيرة والانبار والبحرين وهرمز وعُمان. وقد قال السائح فزما في رحلتهِ الى الهند انّ كلّ تلك البلاد كانت مزدهرةً بكنائسها وابنيتها الدينيّة

ومن المعلوم انّ الكنائس في النصرانيّة تُستخدم قبل كل لاقامة الرتب الدينيّة التي الاعظم والاشرف بينها تقدمة القربان الاقدس في الذبيحة الطاهرة مع توزيعهِ على المؤمنين. وذلك دليل باهر على معرفة العرب بسرّ القربان

﴿الدليل الثالث: النظام الكنسي﴾ كانت الكنائس الواقعة في انحــاء العرب منظَّمة كسائر كنائس المعمور لها رؤساؤها من جاثالقة ومطارنة واساقفة وكهنة وقسّان. قد تكرَّر ذكرهم في دواوين شعراء الجاهليّة ومنهم من كانوا يتنقَّلون مع القبائل الرُّحّل وقد نقلنا منها ابياتاً شتى اثباتاً لذلك (راجع كتابنا النصرانيّة وآدابهــا بين عرب الجاهليّة ص ١٩٠—١٩٥). وهذا النظام كما هو معلوم ليس هو فقط لتدبير الشعب ولكنهُ خصوصاً لاقامة الاسرار التي لسرّ القربان فيها الامتياز لجلالهِ ولتقدمتهِ

كذبيحة وتوزيعه على المؤمنين كقوت نفوسهم فهو اذن من ادلّ الادلّة وأبينها على اعتقاد العرب المتنصرين بهذا السرّ العجيب

﴿الدليل الرابع: الدليل الطقسي﴾ انّ العرب لمّا تنصّروا في القرون الخامس والسادس والسابع لم تكن لغتهم قد توحّدت كما جرى ذلك بعد تغلّب لغة قريش وشيوعها في احياء العرب فكانت القبائل المتنصرة تمتزج باهل الحضر التي كانت لغاتهم الطقسيّة اليونانيّة كما في حوران والفور والاردن او السريانيّة كما في الجزيرة في ديار بكر او الكلدانيّة كما في العراق او الحبشيّة كما في اليمن. وقد بقي من كل هذه الطقوس بقايا واسعة من جملتها وفي مقدّمتها النوافير الجليلة المختصّة بسرّ القربان الاقدس في القدّاس وهناك تسابيح وصلوات كلّها ناطقة بايمان النصارى بوجود السيّد المسيح في القربان الاقدس بجسده ونفسه ولاهوته. يدلّ عليه سجود الجمهور امام الاعراض المقدّسة بعد ان يتلو عليها الكاهن الكلام الجوهري الذي عيّنه السيد المسيح بقوله: هذا هو جسدي هذا هو دمي. وفي الشعر الجاهليّ كلام صريح عن سجود النصارى في كنائسهم وصلواتهم كما بيّنا (في النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة ص ١٧٧)

﴿الدليل الخامس: هندسة الكنائس﴾ انّ في كلّ كنيسة من كنائس النصارى منذ قديم عهدها في القرون الاولى للنصرانيّة، ولم تشذّ عنها الكنائس المشيّدة في بلاد العرب، قسماً تتّجه اليه كل الابصار ويعظمه كلّ الحضور وهو كقدس الاقداس فيه الهيكل والمذبح الذي تُقدّم عليه الاسرار المحيية وقبل كلّ سرّ القربان الاقدس فيزدان بالنقوش ويُنار بالشموع او المشاعل. وكثيراً ما تُمدّ امامه الستور وربما اطلقوا عليه في الجاهليّة اسم المحراب والقبلة لاتجاههم اليه في صلاتهم فهناك تُقام الرُتب الدينيّة بكلّ رونقها بالازياء الكهنوتيّة يحفّ بالاحبار لفيف الكهنة والشمامسة فيتغنّون بالاناشيد الروحيّة. وهناك يُقدّم البخور للعزّة الالهيّة وهناك يعظّم القربان بتكليله وتُبارك الكأس المحتوية للخمرة الالهيّة. وفي الشعر العربيّ قبل الاسلام اصداء لكلّ تلك الرُتب كما رويناها عنهم في مقالتنا «مناسك الدين عند قدماء نصارى العرب»

﴿الدليل السادس: الدليل الاثري﴾ انّ الآثار النصرانيّة الفنيّة التي استُخرجت من قلب الارض ومن الديامس في هذه القرون الاخيرة قد اغنت المتاحف الدولية

الكبرى بالآثار الدالّة على القربان المقدّس وعددُها يبلغ المئات بل الالوف والربوات. وفي هذا كما في بقيّة الامور لم تخلُ انحـاء بلاد العرب من بعض الآثار وان كانت اقلّ عددًا من سواها لما اصاب البلاد من الخروب ولقلّة ما أُجري فيها من الحفريّات

على انّ حفريّات حوران وشمالي سوريّة وجهات الاردنّ وانحاء شبه جزيرة سينا ومثلهـا رِحَل بعض الاثريين الى اليمن والعراق وبادية الشام اظهرت او اشارت الى بعض المعاذيات التي تختصّ بسرّ القربان الاقدس منها نقوش على سُرُج خزفيّة او على جدران كنائس قديمة او بعض النواويس والمدافن والمسكوكات

فمن ذلك نقش صورة «الحمَل» الذي وُجد في عدّة امكنة. وهو كما لا يخفى رمز عن السيد المسيح لاسيما في الذبيحة الطاهرة التي تقدَّم على الهياكل

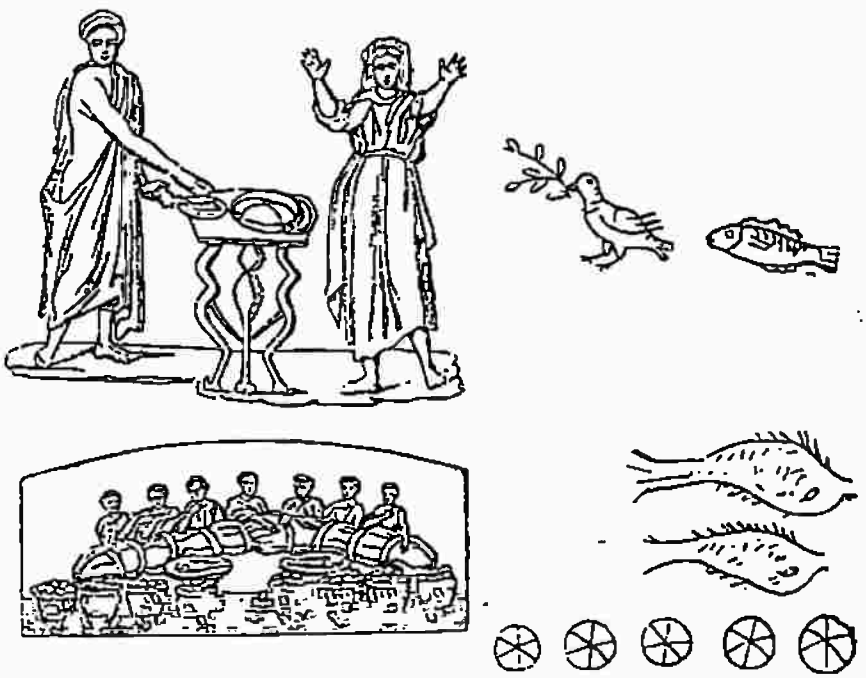

عاديّات نصرانيّة مختلفة من قرون البلاد الاولى تمثّل سرّ القربان

ومنها صورة «السّنبل والجفنة» الرامزين الى مادّتَي القربان الاقدس الخبز والخمر. وهذه الصورة قد تعدّد رسمها ومنها صورة «السمكة» السرّية اشارة الى السمكة التي قدّمها السيد المسيح لتلاميذه مشويّة على شاطئ بحر طبريّة بعد قيامته (يوحنا ٢١:

٩) ثم شاع ذكرها ونقشها منذ القرون الاولى للنصرانيَّة في الشرق والغرب معاً دلالة على سرّ القربان. كفى بذكرها في كتابة القديس ابرقيوس الشهيرة الراقية الى القرن الثاني للمسيح. وبين هذه النقوش المختصَّة بالسرّ المذكور رسوم للخبز موسومة بالصليب اشارة الى خبز القربان. وفي متحف القدس للآباء البيض في الصلاحية آلة لتهيئة خبز القربان عليها صلبان. وربَّما ايضاً رسموا اناء من الخمر على جانبَيْه حمامتان تشربان منهُ. وكذلك مائدة العشاء السرّي التي انشأ فيها المسيح سرّ القربان

ومن العاديَّات الشرقيَّة التي تُرى في المتاحف القديمة كؤوس كانت تتَّخذ للتقديس منها عدد وافر وُجد في كلّ انحاء الشرق. وقد افاضت المجلَّات والصحف في الكأس التي حصل عليها قوشاقجي اخوان فعُرفت بكأس انطاكية. (راجع ما كُتب في صددها للاب دي جرفانيون Jerphanion: *Le Calice d'Antioche* فهذه الرموز وغيرها كالحمامة ممَّا ورد ذكرهُ في العاديَّات الشرقيَّة دليل بيّن على انَّ سرّ القربان لم يجهلهُ نصارى العرب حيثما كانوا يتمسَّون تراثهم الدينيَّة

فيا ليت جميع البشر يلبُّون دعوة السيد المسيح الى هذا السرّ ليجدوا فيهِ نوراً لعقولهم وسلاماً لقلوبهم وسعادة لحياتهم في عالمهم الحاضر ولآخرتهم في دار البقاء آمين

جولة في كسروان

لحضرة القس انطونيوس شلي اللبناني

توطئة

رغب منَّا قدس رئيس رهبانيتنا اللبنانيَّة العام الاباتي اغناطيوس داغر التنوري ان نتوجَّه في صيف سنة ١٩٢٦ الماضي الى جهات كسروان لاستئناف البحث عن آثار عبد الله ابناء رهبانيتنا الذين عيَّن غبطة السيد البطريرك مار الياس بطرس الحويّك السامي الطوبى لجنةً مؤلفةً من بعض الكهنة العالمين الافاضل للفحص عن دعواهم